المحاضرة السادسة : تطبيق المقاربات التعليمية ولا سيما المقاربة النصية.

مالمقصود بالمقاربة البيداغوجية ؟ :

نأخذ من "Petit Larousse " تعريفا لغويا، مفاده أنها كيفية معالجة موضوع وهي أيضا مجموعة الخطوات المتبعة في تحقيق هدف محدد [1] ، وجاء في معجم علوم التربية هي كيفية دراسة المشكل أو معالجة أو بلوغ غاية، وترتبط بنظرة الدارس إلى العالم الفكري الذي يحبذه، وترتكز كل مقاربة على استراتيجية للتعليم و طرائق و تقنيات معينة ،و المقاربة البيداغوجية تتحدد عند توافر البعد المعياري الضابط للوظائف الأساسية و الثانوية، و ذلك على مستوى التواصل بالتركيز على واحد من العناصر /المحتوى ،المتلقي ،المرسل....ليصبح هذا الأخير مركزيا في عملية التواصل البيداغوجي ، و تصبح العناصر الأخرى إجرائية ، وهذا التنظيم الذي شكل ما يسمى المقاربة البيداغوجية أو البعد التطبيقي للنسق التربوي (Bertrand,Y.Valois,P1982) (عن عبد الكريم غريب و من معه 1999).

_ المفهوم الإجرائي للمقاربة النصية من خلال مناهج اللغة العربية للناشئة (كتاب القراءة أنموذجا):

لعل أقرب مفهوم نسوقه بما يناسب الطرح المبثوث في مختلف السندات التربوية لاعتماد المقاربة النصية، هو ذلك الذي يجعلها محاولة " ملامسة سطح النص " و" الدنو منه بصدق " دون الحكم المسبق عليه، أي بجعل الدراسة اللغوية المنغلقة أساسا لذلك[1] ، وقد ورد في الوثيقة المرافقة لمنهاج اللغة العربية السنة الرابعة متوسط تعريفا مفاده " استخدام المقاربة النّصية في تدريس اللّغة، يعني اتخاذ النّص محورًا تدُور حوله جميع الأنشطة اللغوية بمختلف المستويات :الصوتية، الصرفية، النحوية، الدلالية، الأسلوبية؛ تنعكس فيه مختلف المؤشرات :السياقية، المقامية، الثقافية، الاجتماعية"،و يكون إعمال آليات المقاربة النصية من منظور لسانيات النص ، التي تعتمد على مستويات التحليل التي تتجاوز الجملة إلى النص ، من خلال المستوى الفونولوجي (الصوتي)،و المستوى النحوي (التركيبي)،والمستوى الدلالي

لتأطير عملية التحليل اللغوي باعتبار النص وحدة وظيفية تنتمي إلى نظام تواصلي على حد تعبير "بليت H.F.Plett 1975" ، تسعي لإثراء الرصيد اللغوي عند التلميذ، هذا الرصيد الذي يتم اكتسابه عن طريق تشغيل المستويات التحليلية السابقة وجعل النص حقلا خصبا لها، دون البحث عن الحقيقة خارجه، طالما أن المعرفة العلمية الدقيقة بالنسبة للتلميذ مسألة معقدة، كما أن الهدف من القراءة ذو طابع لغوي تواصلي بالدرجة الأولى.

تهدف القراءة كحصة مبرمجة في المقرر إلى تعليم التلميذ اللغة من جهة وإلى إكسابه آليات الفهم والاستيعاب وكذا اكتشاف السمة التركيبية التي ينبني عليها النص من جهة أخرى، وهذا إعدادا له لمرحلة الإنتاج والابتكار التي يحاول فيها محاكاة النماذج المثالية عبر إعادة تركيب النظم اللغوية في نشاطي التعبير الكتابي و الشفوي.

يمكن اعتبار حصة القراءة الثانية مرحلة إعادة استدراك لبنى النص اللغوية والتركيبية التي تم تحليلها من خلال حصة المناقشة الأولى، لذلك فإن رهان أدائها مميزة متعلق بمدى الاستفادة من السابق والقدرة على تحقيق اللاحق (كتابة، تعبير)، وحرصا على الأداء الحسن لهذه المستويات، سنحاول تناولها كلا على حدة، مع تمييز خصائص كل مستوى بما يخدم الوظيفة التعليمية التي نطمح للوصول إليها.

- مثال عن تتبع توالي المستويات التحليلية بحسب ورودها في كتب القراءة للطور الأول الابتدائي ، من خلال اتخاذ السنة الثانية أنموذجا ، آخذين بالطرح المقدم من طرف اللغويين:

_ المستوى الدلالي (أشرح) : تفرع عن علم الدلالة دراسات مختلفة (تاريخية ووصفية ومقارنة) ومن ضمن ما يطرح هذا

الحقل خاصية الترادف اللغوي التي لم تحظ بتأييد الكثير من اللغويين من منطلق أن هذه الظاهرة (الترادف) مسألة غير موضوعية، ومن جهتنا نلمس تلك الميزة الواضحة، إذ لا يمكن اعتبار كلمتين مختلفتين مهما كان الأمر متساويتين في المعنى، فرغم ذلك التقارب إلا أن لكل وحدة لغوية مدلولا مختلفا، فبشيء من التأمل نجد أن كلمة (أقبل) تحمل من الطاقات الدلالية ما لا تحمله كلمة (أتى) أو (قدم)، هذا فضلا عن تلك الطروحات التي ترى بإمكانية

شحن المفردات المألوفة بدلالات غير مسبوقة كما يشيع استعماله اليوم في بعض النصوص الروائية والشعرية، من هذا المنظور يبدأ التأسيس لمفهوم الدلالة السياقية كإجراء معقول للكشف عن المحتويات الدلالية للكلمات، ومن وجهة نظر اللسانيات المعاصرة فإن الدال أو الصورة السمعية لا يشكل أكثر من رمز صوتي أو كتابي لمدلول يمثل الصورة الذهنية، وهو بذلك يختلف عنه تماما إذ لا نلاحظ أية علاقة حتمية أو طبيعية بين الصورة السمعية والصورة الذهنية، فتظل السمة التواضعية أساس العلاقة،ومن هذا المبدأ يمكننا اعتبار الشرح الترادفي نقلا لرمز لغوي (سمعي أو كتابي) إلى رمز آخر، بدل استحضار الصورة الذهنية التي لا يمكن لها أن تتهيأ إلا بالتوظيف السياقي الذي يفتح أفق الخيال لتمثل الفكرة، من ذلك مثلا ما جاء في الوحدة التعليمية "من المدرية إلى المهنة " عرضت كلمة " جدَ" التي شرحت بالمقابل : يعمل الفلاح بجد ونشاط .

على هذا النحو سارت كل الشروح ،مما أثار انتباهنا عند ملاحظ كتاب القراءة للسنة الثانية، وهو التوظيف المقصود لنظرية السياق، إذ تجري معظم المفردات على المنوال التداولي داخل الجملة، وهنا ينبغي الإشارة إلى أهمية هذا العمل كونه يرسخ الكلمة كمدلول ومفهوم، ومن الأداء الحسن للمعلم والكامل أن يصاحب هذه النظرية في عمليته التربوية عند تعرضه للكلمات الغامضة، بأن يوظفها في جمل تعبر عن محيط التلميذ الذي يهتم به بمجرد سماع المثال ومنه يتوصل إلى التركيبة المفهومية للدليل اللغوي (الكلمة).

_ المستوى النحوي (التركيبي) – الصيغ _:

المستوى النحوي هو الجانب التركيبي لعناصر الجملة المتشكلة في انسجام محققا " الوظائف النحوية " و الدراسات اللغوية العربية للجملة أخذت حقها من هذه الناحية، وخلصت إلى قواعد نحوية ومعايير عالية الدقة، تمكنت من خلالها من تفصيل الأدوار الوظيفية للكلمات.

لا يمكن إغفال دعوات الدراسات المعاصرة إلى ضرورة الاهتمام بنحو النص، خاصة بعد ظهور جهود هاريس الذي قدم من خلال تحليل الخطاب " نماذج تجاوزت نحو الجملة "، و هو نقل لمستوى نحو الجملة إلى نحو النص ، و المقصود هو الجوانب التركيبية ، وليس دوما ظاهرة الإعراب وما يترتب عنها من توابع، بل النظر في الجمل و تعالقها وتشكيلها للمعنى، مع

استحضار فرضية البنية الكبرى Macro Structure التي تحيل إلى تضمن كل نص لجوهر ظاهر يمكن بلوغه وتثبيته من خلال بنى فرعية تتوزع فيه.

إن طبيعة النصوص التعليمية التي نحن بصددها تجعل من الضروري التأكيد على حضور نحو الجملة كخطوة أولى قبل المرور إلى مستوى النص، إذ يعتبر تحديد ببنية الجملة و وظائفها التركيبية مرحلة هامة لضبط بنية أكبر تتشكل من خلال النص، ويعاد تركيبها من خلال "التعبير بأنشطته الكتابية".

و في الكتاب إجراء بيداغوجي تم توظيفه لتحقيق هذا الهدف، يندرج تحت عنوان – صيغ – ، ويتبع كل نص قراءة استثمار صيغة بعينها، مستخرجة من النص نفسه، كنشاط لإكساب التلاميذ مهارات اتخاذ مواقفهم اللغوية عند الحاجة، و فحوى هذه الصيغ هو بناء نصوص (تناسق البنى) ، في أشكال تكتمل صورتها بباقي الأدوات ، روابط، نفي،استفهام ، ضمائر ...

و على المعلم قبل الشروع في انجاز تمارين الصيغ البدء في تقديم خصائص الصيغة وميزتها ثم مجال عملها، حتى تكون انطلاقة إنجازات التلاميذ أكثر فعالية وكذلك يسهل التقويم، من ذلك ما نسجله في الوحدة التعلبيمية ذاتها و صيغة " إذا " الموظفة في جملتين " إذا اجتهدت تنجح "و " إذا سألتني المعلمة أجبتها " ، كما نشير إلى أهمية ما يندرج تحت عنصر – أجيب – والتي تتجه إلى تشكيل البنية الكبرى من خلال استقصاء وحدات النص الدلالية، و نظرا لأهمية العنوان الذي تعده نظريات القراءة والتلقي أساسيا، أحد أهم مفاتيح النص ومداخله ،ويأتي الربط بين دور الأسئلة، لاستحضار بنى فرعية للنص، والعنوان كدليل للنص لتأكيد النسجام.

_ المستوى الفونولوجي – الصوتي – (الإملاء، الخط): الاهتمام بالجانب الصوتي يخدم بالأساس آلية الأداء اللغوي (الكلام) ، وهذا يعني حتمية ظهور الفروق الفردية ، غير أن وسائل علاج ذلك ممكنا ، مادامت أعضاؤه سليمة (مجال علم الأرطوفونيا)، و الدراسات العربية تميزت بهذا الجانب من خلال اهتمامها بالقراءات ، و ترتيل القرآن ، غير أن ما تقدمه الدراسات الغربية الصوتية اليوم تعرف تقدما كبيرا ، وتعد الكتابة الصوتية أبلغ معالم هذا

التقدم.

و لنا أن نقف في كتاب القراءة على هذا الجانب الصوتي : الإملاء (أقرأ وأميز) : إن الصوت رمز نطقي نمثله برمز كتابي، مما يوجب حتمية تمييزه ، انطلاقا من كون الكتابية رمز الرمز على حد تعبير إدوارد سابير، ومن خلال منهاج اللغة العربية

نقف على أهمية التمييز الصوتي في طريق تمييز رسمه (الإملاء)،حيث ينبغي للتلميذ تعلم ميزات الحروف ، وأيضا ضبط الحرف الذي ينطق ولا يكتب كأسماء الإشارة ، وقواعد الرسم التي لا يحددها الصوت كألف الجماعة،كل تلك الضوابط من شأنها ترسيخ عادات سليمة عن طريق القراءة والجو التواصلي في القسم وفي مستوى أكثر استيعابا يتلقى التلميذ المميزات الصوتية من خلال الجمل مثل ما جاء في نص " عرقلة السير "تحت عنوان أقرأ و أميز "التنوين بالفتح و عرض جمل متضمنة لذلك [2]، و بعدها من النص ،ثم إن الأنشطة و قضايا التراكيب و الصوت و الرسم ، و كذلك التفاعلات الوجدانية في المحفوظات،تولد ملكات تمكن التلاميذ من إنتاج نصوص في حصص التعبير ، تجسيدا لمبدأ أساسي في المقاربة النصية ، وهو الانطلاق من النص للوصول إليه.

بعض المراجع :

1 _ د.منذر عياشي: الكتابة الثانية وفاتحة المتعة، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء ،المغرب،1998، ص 148

2 _ وزارة التربية الوطنية ، الوثيقة المرافقة لمنهاج السنة الرابعة من التعلم المتوسط ص 11.

3 _أوزوالد ديكرو ،جان ماري سشايفر :القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان ، ترجمة د. منذر عياش ، المركز الثقافي العربي،ط2007،2.ص 533.

4-_ كتابي في اللغة العربية : السنة الثانية من التعليم الابتدائي، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية 2016/2015ص 101.

5_ صبحي إبراهيم الفقي: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دار قباء، ط1،القاهرة ، مصر ،2000 ، ص 51